

تجمع العودة الفلسطيني (واجب)
قسم الأبحاث والدراسات



تجمع العودة الفلسطيني واجب

Palestinian Return Community (wajeb)

توطين اللاجئين الفلسطينيين في العراق

إعداد الباحث إبراهيم العلي

خطة البحث

مقدمة	ص 3
تمهيد	ص 4
توطين الفلسطينيين في العراق	ص 6
أولاً: التوطين في اللغة والاصطلاح	ص 6
• التوطين في اللغة.....	ص 6
• التوطين في الاصطلاح السياسي.....	ص 6
• التوطين بالمفهوم الفلسطيني.....	ص 7
ثانياً: التوطين في القانون والمواثيق الدولية.....	ص 7
• التوطين في القانون الدولي العام.....	ص 7
• التوطين في القانون الدولي الإنساني.....	ص 7
• التوطين وقرارات الأمم المتحدة.....	ص 8
• التوطين وقرارات الجامعة العربية.....	ص 8
• التوطين في القانون الدولي لحقوق الإنسان.....	ص 8
• التوطين في المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان.....	ص 9
ثالثاً: الوجود الفلسطيني في العراق.....	ص 9
• تاريخ الوجود الفلسطيني في العراق.....	ص 9
• الواقع المعيشي للاجئين الفلسطينيين في العراق.....	ص 10
• اللاجئون الفلسطينيون في ظل القانون العراقي.....	ص 12
• اثر الاحتلال الأمريكي على اللاجئين الفلسطينيين في العراق.....	ص 13
رابعاً: الخطط الصهيونية المقترحة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في العراق.....	ص 15
خامساً: الموقف البريطاني والأمريكي من توطين الفلسطينيين.....	ص 18
• الموقف البريطاني.....	ص 18
• الموقف الأمريكي.....	ص 18
سادساً: الموقف العراقي والفلسطيني من التوطين في العراق.....	ص 21
• الموقف العراقي.....	ص 21
• قبل الاحتلال.....	ص 21
• بعد الاحتلال.....	ص 22
• الموقف الفلسطيني الرسمي والشعبي.....	ص 22
نتائج وتوصيات.....	ص 24
المراجع.....	ص 25

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يُعدّ موضوع التوطن من أخطر المواضيع التي يتعرض لها اللاجئون الفلسطينيون في دول اللجوء لما في ذلك من شطب لحقهم في العودة وتقرير المصير، الأمر الذي يعطي هذا البحث أهميةً كبيرة.

لذلك جاء هذا البحث دراسةً تأصيليةً لموضوع التوطن بشكل عام، وتوطن اللاجئين الفلسطينيين في العراق بشكل خاص.

فتناول القضية من عدة محاور كان أولها التعريف بمشكلة اللاجئين وسبب ظهورها من خلال تمهيد بسيط يعرض ارتباط مشكلة اللاجئين بمشكلة اليهودية، ثم تناول البحث تعريف التوطن باللغة والاصطلاح السياسي، وكيف ينظر إليه كلٌّ من القانون الدولي الإنساني والمواثيق الدولية والجامعة العربية.

ثمّ إفراد فصل خاص للتعريف باللاجئين الفلسطينيين في العراق والمشاريع الداعية إلى توطن الفلسطينيين هناك، وعرض المواقف الدولية والعراقية والفلسطينية.

وفي الختام تمّ تثبيت النتائج والتوصيات المستنتجة من الدراسة.

ومن الجدير ذكره أن هناك بعض الصعوبات التي واجهتني في البحث كصعوبة الحصول على بعض المراجع التي تكشف المواقف الحقيقية للسلطة الفلسطينية والحكومة العراقية الحالية من مشروع التوطن.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في تقديم هذا الطرح بشكل موضوعي ودقيق، فما فيه من توفيق فهو من الله وما فيه من زلل فهو مني والله من وراء القصد.

تمهيد

نشأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين 1948م نتيجةً لعوامل متعددة، لن نستطيع فهمها إلا بالعودة إلى تاريخ القضية الفلسطينية وجذورها.

فالمؤامرة للاستيلاء على فلسطين وترحيل شعبها بدأت مع نشوء ما يسمى المشكلة اليهودية في أوروبا الشرقية إثر مقتل قيصر روسيا ألكسندر الثاني الذي وجه الاتهام به إلى اليهود، فأخذوا على أثرها — ونتيجة للضغط عليهم — بالمهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية، مما أتاح الفرصة للحركة الصهيونية من الظهور والمطالبة بإنشاء كيان آمن مستقل لليهود في فلسطين حلاً لمشكلتهم.

واستطاعت الحركة الصهيونية بأكاذيبها استمالة عطف الكثير من الأمريكان والأوروبيين، ولا سيّما بعد نجاحها في إقناع الحركة البروتستانتية القائمة على الفكر التوراتي بأن اليهود هم أهل فلسطين المرشدين على الأرض الذين سوف يجمعهم الله في فلسطين لعودة المسيح المنتظر (1).

وبالتدقيق في سلوك اليهود نجد أنهم أحسنوا التخطيط لتحقيق هدفهم في الاستيلاء على فلسطين ونجحوا في توظيف السياسة البريطانية لخدمة مشروعهم، ثم توجهوا وبخطوة عملية للاستفادة من الوجود الأوروبي فلسطين من خلال القناصل الذين لعبوا دوراً هاماً في تقويض نظام الحكم العثماني الرسمي لفلسطين وتوفير الأحوال المناسبة لتحقيق الرغبة اليهودية في الهجرة إليها (2).

بالإضافة إلى ما سبق لا يمكن إغفال مصالح القوى الاستعمارية ومطامعها في المنطقة والمتمثلة بالقوة العظمى آنذاك بريطانيا في نشوء كيان فاصل بين جناحي العالم الإسلامي يمنع وحدته ويضمن ضعفه وتفككه، فقرر المجتمعون في مؤتمر لندن ما بين عامي ألف وتسعمائة وخمسة (1905م) وألف وتسعمائة وسبعة (1907م) إنشاء الكيان الصهيوني ليكون حاجزاً بشرياً قوياً شرق المتوسط معادياً لشعب المنطقة، وفي الوقت نفسه صديقاً للدول الأوروبية ومعتمداً عليها (3).

¹ سلسلة دراسات فلسطينية (1) دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، د. محسن صالح، مركز الإعلام العربي، مصر، الطبعة الأولى 1424-2003 ص 26-27.

² دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1880 - 1914م نائلة الوعري، دار الشروق للنشر والطباعة، رام الله، الطبعة الأولى 2007، ص 37.

³ سلسلة دراسات فلسطينية (1) دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص 28.

وفعالاً بدأ التوغل الصهيوني في أرض فلسطين على شكل هجرات يهودية متواصلة، وأخذ المغتصبون اليهود ببناء المغتصبات وتشكيل العصابات المسلحة التي مارست فيما بعد أبشع سياسات القتل والتنكيل، بأسلوب خلت منه الرحمة وسكنت عنه الحضارة الأوروبية، أدت في نهاية المطاف إلى اغتصاب وطن بأكمله وتشريد حوالي ثمانمائة ألف فلسطيني أصبحوا في عداد اللاجئين.

فالفكر الصهيوني ينفي علاقة الشعب الفلسطيني بوطنه ويعده عنصراً غير ثابت على الأرض وبالتالي من المباح إجلاؤه عنها⁽⁴⁾.

كتبت الممارسات الصهيونية تاريخها الدموي البشع بدماء العرب والفلسطينيين، حتى صار لكل ذي بصيرة القدرة على استنتاج المنهج التي قامت عليه، وهو المنهج الإحلالي والعنصري.

فالحركة الصهيونية اعتمدت على الهجرة وامتلاك⁽⁵⁾ الأراضي أساساً ليقام الوطن اليهودي في فلسطين، فعملت على ابتداء الخطط وطرح المشاريع الداعية إلى اقتلاع الفلسطينيين وترحيلهم ترحيلاً طوعاً أو قسراً إلى أماكن مختلفة خارج فلسطين منذ بدايات القرن المنصرم، لإحلال اليهود القادمين من شتى بقاع الأرض مكاهم تحت ذرائع ومزاعم توراتية لا أساس لها من الصحة.

وكان العراق أحد هذه الجهات التي اقترحتها الخطط الصهيونية لتهجير الفلسطينيين إليه وإعادة توطينهم فيه.

⁴ إسرائيل في خمسين عاماً - المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، د. إلياس شوفاني، دار جغرافيا للدراسات والنشر الطبعة الأولى، 2002م الجزء 3 ص 160.

⁵ طرد الفلسطينيين، مفهوم الترانسفير في الفكر الصهيوني (1882 - 1948)، نور الدين مصالحة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م ص 110.
 ◊ جوشواه بوخميل: داعية صهيوني ينحدر من أصول روسية.

توطين الفلسطينيين في العراق

أولاً: التوطن في اللغة والاصطلاح:

التوطن لغةً:

أصل الكلمة مشتق من الجذر "وطن" (6) والوَطَنُ مَحَلُّ الْإِنْسَانِ.

وَأَوْطَانُ الْعَنَمِ مَرَابِضُهَا، وَأَوْطَنَ الْأَرْضَ وَوَطَّنَهَا وَاسْتَوْطَنَهَا وَاتَّطَنَهَا أَي اتَّخَذَهَا وَطَنًا، وَتَوَطَّنَ النَّفْسَ عَلَى الشَّيْءِ كَالْتَّمَهِيدِ، وَالْمَوْطِنُ الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ الْحَرْبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ).
 وفسر الفيروز آبادي في القاموس المحيط (7) الوَطَنُ، مُحَرَّكَةً وَيُسَكَّنُ مَنْزِلُ الْإِقَامَةِ، وَمَرَبُطُ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ جِ أَوْطَانٌ. وَوَطَّنَ بِهِ يَطْنُ وَأَوْطَنَ أَقَامَ. وَأَوْطَنَهُ وَوَطَّنَهُ وَاسْتَوْطَنَهُ اتَّخَذَهُ وَطَنًا، وَمَوَاطِنُ مَكَّةَ مَوَاقِفُهَا، وَمِنْ الْحَرْبِ مَشَاهِدُهَا، وَتَوَطَّنَ النَّفْسَ تَمَهِيدُهَا، وَتَوَطَّنَهَا تَمَهَّدَهَا، وَالْمَيْطَانُ، بِالْكَسْرِ الْغَايَةُ، وَمَوْضِعٌ يُوَطَّنُ لْتُرْسَلُ مِنْهُ الْخَيْلُ فِي السِّبَاقِ، وَوِاطِنُهُ عَلَى الْأَمْرِ وَافَقَهُ.

وذكر صاحب التعريفات (8) الجرجاني: "الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً".

التوطن في المصطلح السياسي:

منح اللاجئين جنسية البلد التي لجأ إليها (9) ، أي بغض النظر عن حقه في وطنه الأم.

6 مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، تحقيق محمود خاطر، مادة وطن.

7 القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، مادة وطن.

8 التعريفات، علي بن محمد علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى تاريخ 1405 هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري، مادة وطن.

9 دائرة المعلومات في مركز جمع المعلومات المحافظة الجنوبية غزة.

التوطن بالمفهوم الفلسطيني:

تلك العملية الإحلالية السياسية المدعومة بمجموعة من (الإجراءات القانونية) تهدف إلى تثبيت التحول الديموغرافي والجغرافي في فلسطين لصالح الاستعمار الإحلالي الصهيوني. (10)

ثانياً: التوطن في القانون والمواثيق الدولية**❖ التوطن في القانون الدولي العام:**

يخالف التوطن أهم المبادئ والقواعد الآمرة في القانون الدولي العام، وهو مبدأ حق تقرير المصير⁽¹¹⁾ الذي منح الشعوب وحدها الحق في تقرير مصيرها السياسي والاقتصادي، والحق في أن تختار الوطن والأرض التي تعيش فيها وعليها دون تدخل من أحد، وبالتالي يُعدّ التوطن انتهاكاً لهذا المبدأ لأنه لا يحترم رغبة السكان الحقيقية، ويصادر إرادتهم في تقرير مصيرهم السياسي بإبعادهم عن أرضهم ووطنهم وتوطينهم في أرض ليست أرضهم، ووطن ليس هو موطنهم الأصلي والحقيقي.

❖ التوطن في القانون الدولي الإنساني:

ويُعدّ التوطن مخالفاً لقواعد القانون الدولي الإنساني وأحكامه ومبادئه، ولا سيما المادة (49) من اتفاقية جنيف الرابعة والتي تنص على: "يحظر النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين، كما يُحظر نفيهم من الأراضي المحتلة إلى أراضي دولة احتلال أو أراضي أية دولة أخرى محتلة كانت أم غير محتلة، أيّاً تكن الدواعي". (12)

¹⁰ نظرة في واقع الإحلال الصهيوني، أ محمد جميل، دار ابن القيم، ط 1، 2005م، ص 325-326.

¹¹ المادة 1: 1. لجميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها، وهي بمقتضى هذا الحق حرة في تقرير مركزها السياسي وحرّة في السعي لتحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

¹² موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، النصوص الرسمية للاتفاقيات والدول المصادقة عليه، إصدار بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة، شريف عتلم ومحمد ماهر عبد الواحد، اتفاقية جنيف الرابعة، ص 208.

❖ التوطين وقرارات الأمم المتحدة:

يتعارض التوطين مع حق العودة الذي يُعدُّ حقاً طبيعياً وليس حقاً قانونياً من صنع الأنظمة القانونية فقط، والحق الطبيعي يضمنه القانون ولا يستطيع منعه أو الحد منه فقد أكدته الأمم المتحدة مائة وخمسة وثلاثين مرة في قرارات صادرة عن الجمعية العامة ومجلس الأمن.⁽¹³⁾

❖ التوطين وقرارات الجامعة العربية:

حق العودة الفلسطيني في قرارات القمة العربية أيدهت جامعة الدول العربية في أكثر من ثلاثين قراراً، وكل قرار ينصّ على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين يعد في الوقت ذاته قراراً يجرّم ويجرم التوطين، سواء الخارجي أو الداخلي ويخرج التوطين من دائرة الشرعية ويصمّمه بعدم المشروعية⁽¹⁴⁾.

إلا أن تبني مجلس جامعة الدول العربية المنعقد على مستوى القمة في دورته الرابعة عشرة للمبادرة التي طرحها الملك عبد الله والتي عرفت فيما بعد بالمبادرة العربية للسلام التي طرحت ضرورة التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194، شكّل خرقاً للقرارات السابقة والقانون الدولي الذي قضى بحل وحيد لقضية اللاجئين وهو العودة إلى ديارهم التي خرجوا منها وليس على حل عادل لمشكلة اللاجئين، كما أن الفقرة التي أشارت إلى رفض كل أشكال التوطين الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة، فقرة غامضة ومبهمة وتشكل تغييراً نوعياً في الموقف العربي حيال فكرة التوطين .

❖ التوطين في القانون الدولي لحقوق الإنسان:

رفضت نصوص القانون الدولي لحقوق الإنسان التوطين، وأعطت الحق لكل إنسان في التمتع بجميع الحقوق والحريات دون التمييز على أساس الوضع السياسي أو القانوني، وكذلك منعت استعمال التعسف والتدخل في الشؤون الخاصة للفرد من حيث المسكن والجنسية والتملك في المواد (12، 15، 17).⁽¹⁵⁾

¹³ مجلة كلية الملك خالد العسكرية، (كيف ينظر القانون الدولي إلى قضية توطين اللاجئين)، www.kkmaq.gov.sa
¹⁴ المصدر نفسه.

❖ التوطين في المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان:

يخالف التوطين أيضاً جميع المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان¹⁶، (الميثاق العربي لحقوق الإنسان، الميثاق الإسلامي، الميثاق الأوروبي، الميثاق الأمريكي، والميثاق الإفريقي)، والتي نصّت على حق الإقامة في الوطن، وعدم طرد أي إنسان من وطنه ومحل إقامته وإجباره على الإقامة والعيش في دولة غير دولته التي وُلد فيها وأقام عمره، وفيها ملكه وأسرته.

ثالثاً: الوجود الفلسطيني في العراق

❖ تاريخ الوجود الفلسطيني في العراق:

حلت النكبة في الشعب الفلسطيني ولجأ إلى العراق ما يقارب أربعة آلاف وثلاثمائة لاجئ، بشكل مختلف من حيث العدد والدوافع عن ما لحق بالدول العربية المجاورة لكونه بعيداً نسبياً عن فلسطين.

وتعود جذور الفلسطينيين الذين توجهوا للعراق إلى قرى المثلث (إجزم، جبع، عين غزال) في الجليل الأعلى الذين ربطتهم بالجيش العراقي المتمرس في مواقع العمليات آنذاك روابط الألفة والمحبة والنضال المشترك¹⁷.

فأنشأت السلطات العراقية مديرية شؤون اللاجئين الفلسطينيين وعرفت اللاجئين الفلسطينيين بأنه الإنسان الذي هاجر من بلده المحتل عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ودخل العراق وأقام فيه قبل الخامس والعشرين من أيلول (سبتمبر) عام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين¹⁸.

¹⁵ مكتبة حقوق الإنسان – جامعة مينسوتا موقع ألكتروني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

<http://www1.umn.edu/humanrts/arabic.html>

المادة 12 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان : لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أوفي شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته، ولا لحملات تمس شرفه وسمعته. ولكل شخص حق في أن يحميه القانون من مثل ذلك التدخل أو تلك الحملات.

المادة 15 : 1. لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

2. لا يجوز، تعسفاً، حرمان أي شخص من جنسيته ولا من حقه في تغيير جنسيته.

المادة 17 : 1. لكل فرد حق في التملك، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.

2. لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

¹⁶ مجلة كلية الملك خالد العسكرية(كيف ينظر القانون الدولي إلى قضية توطين اللاجئين) مصدر سابق .

¹⁷ دراسة بعنوان اللاجئين الفلسطينيين في العراق، صادرة عن مركز شمل عام 2005، لبيب قدسية، انظر كتاب اللاجئين الفلسطينيين في العراق عز الدين محمد ص 20-21.

وأما حول عدم خضوع الفلسطينيين لإشراف الأنزوا فهناك روايتان متناقضتان، تبدي الرواية الأولى رفض العراق وضع اللاجئين الفلسطينيين تحت تصرف وكالة الغوث والتكفل بالإشراف الكامل على شؤونهم مقابل عدم دفع أي تبرعات نقدية للأنزوا، أما الرواية الثانية وهي الرواية الرسمية العراقية فتقول بأن الأنزوا رفضت وضع الفلسطينيين اللاجئين إلى العراق تحت إشرافها، نظراً لقلتهم من ناحية وبعدهم عن مناطق اللجوء من ناحية أخرى، فقد جاء في الوثيقة الصادرة عن وزارة الخارجية العراقية في آذار (مارس) عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين (1949م): "هناك كتاب مرسل من وزارة الخارجية العراقية يتحدث عن اتصال القائم بالأعمال العراقي بمكتب وكيل الوسيط الدولي في بيروت الذي تمت إحالته على المستر ستانتن كرافس رئيس لجنة إسعاف المهجرين الفلسطينيين، وأطلعه على رغبة العراق في عقد اتفاق مماثل للذي عقد بين وزارة الخارجية اللبنانية والكونت برنادوت، فكان جواب المستر كرافس: لا ضرورة لعقد هذه الاتفاقية لأن موادها تختص بمساعدة الحكومة لنقل المواد الغذائية وتأمينها وإيصالها للاجئين، وأن إدارته لا تفكر في المستقبل القريب أو البعيد بإيصال أي مواد غذائية للاجئين في العراق، وذلك لقلّة عددهم وأنه لا يرى ما يستدعي عقدها إلا في حالة إصرار الحكومة العراقية"⁽¹⁹⁾.

❖ الواقع المعيشي للاجئين الفلسطينيين في العراق:

سكن اللاجئون الفلسطينيون إلى العراق في الدوائر الحكومية التابعة لوزارة التعليم العالي وفي مباني الكليات، وتم تغير أماكن سكنهم بين المحافظات العراقية (البصرة، بابل، الموصل، ومنطقة أبو غريب) إلى أن تم جمعهم ثانية في مدينة بغداد، ويربط الكاتب عز الدين في كتابه (اللاجئون الفلسطينيون في العراق) بين تنقل الفلسطينيين في محافظات العراق وبين هجرة اليهود العراقيين منه مشيراً إلى هجرة حوالي مائة وثلاثين ألف يهودي عراقي في الفترة ما بين عامي ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (1948م) وألف وتسعمائة وخمسين (1950) "عند انتهاء معظم عملية (خروج) اليهود العراقيين عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين، إذ خلف هذا (الخروج) وراءه ولاسيما في بغداد أماكن شاغرة كبيرة بالإضافة إلى دور السكن الخاصة بهم ... وتمت عملية إسكان الفلسطينيين فيها في العامين ألف وتسعمائة وواحد وخمسين (1951م) وألف وتسعمائة واثنين وخمسين (1952)".

¹⁸ التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان، ص 334.
¹⁹ اللاجئون الفلسطينيون في العراق، عز الدين محمد، مركز الغد العربي للدراسات، دمشق، الطبعة الأولى، 2007م، ص 12.

كما سكنت حوالي ثمانمائة وثلاث وسبعين أسرة من اللاجئين في عدة ملاجئ تكاد تكون أشبه بالقبور لما تشترك معها من صفات انعدام الشمس والتهوية وضيق المكان، فقد أورد الكاتب طارق حمود في دراسة⁽²⁰⁾ وصفية لأحوال اللاجئين الفلسطينيين في العراق نص رسالة وزير الشؤون الاجتماعية والعمل العراقي الأستاذ أحمد الحبوبى التي عبرت عن واقع حياة الفلسطينيين في تلك الفترة والتي جاء فيها: "قمت بزيارة للملاجئ التي يسكنها إخواننا الفلسطينيون فهالني ما رأيت، ولا أبلغ لو شبهتها بقبور يسكنها أحياء، فهي لا تختلف عنها من قريب أو بعيد فليس للشمس مكان فيها أو منفذ إليها، كما أن الهواء النقي مطرود منها، بناؤها قديم متآكل يتهدد أرواح ساكنيها فيعيشون في قلق دائم وخوف مقيم. إن الغرفة الواحدة التي طولها ثلاثة أمتار وربع وعرضها ثلاثة أمتار تسكنها أسرة يتراوح عدد أفرادها ما بين سبع إلى اثني عشرة نسمة، وهي محل للطبخ ولغسيل الملابس والصحون والاستحمام والنوم والأكل وهي في الوقت نفسه ساحة للعب الأطفال، ولا يوجد حاجز أو فاصل بين أسرة وأخرى وفي هذا ما فيه من خطورة ومحاذير ومشاكل تنجم من اختلاط الفتيات بالفتيان، فضلا عما يتهدد الصحة من احتمال انتشار الأمراض والأوبئة، ولا سيما أن النظافة في أماكن كهذه تكاد تكون معدومة، إن المشكلة أكبر من أن توصف وكما يقول المثل: (ليس السامع كمن رأى)، إن الإنسان في هذه الأماكن يفقد آدميته وتستحيل حياته إلى ما يشبه حياة الحيوان، أقول ذلك وكلي ألم، وأنا موقن أن مجلسكم الموقر سيولي هذه المشكلة العناية اللازمة لإنقاذ هؤلاء المساكين من الحالة المزرية التي يعيشونها، وقد دب اليأس في نفوسهم وباتوا في ريب حتى من الأمل في إنقاذهم مما هم فيه فاستسلموا لليأس، ولا أكتفكم مدى المرارة التي رافقتني وأنا أرقب نظرات الأطفال والنساء والشيوخ وقد شحبت وجوههم وغاضت نضارتها وهي ترمقني بعتب محض ولسان حالهم يقول: (أهكذا يعيش العائدون؟!)"

أما بقية اللاجئين فقد توزع حوالي مائتين وسبعين أسرة منهم على خمسة وخمسين منزلاً أي بمعدل خمس أسر في المنزل الواحد، وتوزع الباقون على منازل شعبية في حي الحرية وحي السلام وتل محمد وحي الزعفرانية، إلى أن تم بناء العديد من الأبنية السكنية على نفقة الحكومة العراقية بين عامي ألف وتسعمائة وخمسين وألف وتسعمائة وخمسة وثمانين 1950 — 1985 في حي البلديات شرق بغداد ومنطقة الدورة ومجمع الخليج في حي الأمين والموصل والبصرة بالإضافة إلى استئجار الحكومة منازل لحوالي أربعمائة وأسرة واحدة.⁽²¹⁾

²⁰ دراسة بعنوان الفلسطينيين في العراق.. الواقع والمآل، صادرة عن تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، طارق حمود، دمشق.
²¹ اللاجئين الفلسطينيين في العراق عز الدين محمد، مصدر سابق.

❖ اللاجئون الفلسطينيون في ظل القوانين العراقية:

صدرت عدة قوانين عن الحكومات العراقية المتعاقبة بشأن تنظيم الوجود الفلسطيني فيه، تراوحت بين التضييق عليه لدرجة الاختناق حيناً والتوسيع عليه لدرجة مساواته بالمواطن العراقي حيناً آخر.

من أهم هذه القوانين نذكر⁽²²⁾:

- استثناء الفلسطينيين من قانون الإقامة رقم 64 لعام ألف وتسعمائة وثمانية وثلاثين 1938 شريطة حصولهم على هوية تصدر بمعرفة لجنة إدارة شؤون اللاجئين.
- إصدار وثيقة سفر للفلسطينيين في العراق بناءً على القانون رقم 25 لعام ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين 1959.
- في عام ألف وتسعمائة وستين 1960، صدور القانون 102 القاضي بتشكيل جيش التحرير الفلسطيني في العراق.
- في عام ألف وتسعمائة وأربعة وستين 1964، صدور القرار رقم 15108 عن وزارة المالية والذي يؤكد على قرار مجلس الوزراء العراقي معاملة اللاجئين الفلسطينيين معاملة المواطن العراقي من حيث استلام الرواتب والعلاوات السنوية ومخصصات غلاء المعيشة والإجازات بتطبيق قوانين أنظمة الخدمة عليهم.
- في عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين 1969 صدور القرار رقم 336 القاضي بمساواة الفلسطينيين بالعراقيين عند التعيين والترقية والتقاعد على أن يبقى مشروطاً بالانتهاء في حالة عودة الفلسطينيين إلى ديارهم وتطبيق أنظمة الخدمة عليهم.
- في عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين 1972 صدور قرار خاص بإلغاء الفيزا والإقامة للمواطنين العرب ومنح اللاجئين الفلسطينيين إلى العراق وثائق السفر الخاصة بهم إذا لم تكن لديهم هذه الوثائق.
- في عام ألف وتسعمائة وثمانين 1980 صدور القانون رقم 215 القاضي بالسماح للفلسطينيين المقيمين في العراق إقامة فعلية بالتملك العقاري.

²² المصدر نفسه.

- في عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين 1987 صدور القرار رقم 936 الذي لا يسمح للفلسطيني المقيم في العراق إقامة دائمة تملك أكثر من عقار أو قطعة أرض واحدة.
 - في عام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين 1989 صدور القرار رقم 469 القاضي بوقف العمل بالقوانين والقرارات التي تجيز تملك غير العراقي العقار أو استثمار أمواله في الشركات داخل العراق وكل ما من شأنه التملك والاستثمار في أي وجه كان.
 - في عام ألفين وواحد 2001 صدور القرار 202 القاضي بمساواة الفلسطيني المقيم في العراق إقامة دائمة بالعراقيين في جميع الحقوق والواجبات باستثناء الحق في الحصول على الجنسية العراقية.
- من خلال استقراء هذه القوانين نجد أن الخط البياني للفلسطينيين في العراق شكل تذبذباً واضحاً بين ارتفاع لم يفرح به وانخفاضٍ أذاقه مرارة الجوع والفقير.

❖ أثر الاحتلال الأمريكي على الفلسطينيين في العراق:

بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين في العراق عام ألفين وثلاثة 2003 بعيد الاحتلال الأمريكي ما بين خمسة وثلاثين إلى أربعين ألف فلسطيني، تعرض أكثرهم إلى عمليات تهجير قسري جديدة اتسمت باستهدافهم بالقتل والاختطاف والاعتقال والتعذيب حتى الموت، ومصادرة ممتلكاتهم من منازل وسيارات ومحال تجارية، وقد اتبعت عدة أساليب لترهيب الفلسطينيين من خلال الاقترحات والمداهمات والقصف للتجمعات الفلسطينية بالهاون والمدفعية أحيانا قام بها أحيانا جيش الاحتلال الأمريكي وأحيانا أخرى الفئات العراقية المتقاتلة. ولم تقف الأحداث عند هذا الحد فقد جرى الترويح وتجيير وسائل التحريض الإعلامي ضد الفلسطينيين، من خلال تشويه الحقائق وكييل التهم لهم بالمسؤولية عن عمليات قتل عراقيين وتفجيرات في مناطق في العراق، حيث عرضت عدة فضائيات عراقية مشاهد لفلسطينيين يعترفون تحت التعذيب بمسؤوليتهم عن تفجير في منطقة بغداد الجديدة من العام ألفين وستة 2006 الماضي الأمر الذي ثبت زيفه بعد براءة المتهمين.

أدت هذه الأحداث الدامية بحق الفلسطينيين إلى هروب الآلاف منهم من بيوتهم وتوزعهم في عدد من الدول العربية ممن قبلت استضافتهم، أو ممن تمكنوا من الدخول بشكل غير قانوني بعد رفض هذه الدول لهم

ولا سيما بعد تمتع الحكومة العراقية عن تجديد وثائق سفرهم، بالإضافة لأعداد من اللاجئين تمكنوا من الوصول إلى السويد وقبرص والبرازيل والهند وكندا والنرويج والصين ودول أمريكا اللاتينية، واليوم تقدر أعداد من تبقى في العراق قرابة خمسة عشر ألف لاجئ، وهذا العدد مرشح للانخفاض نتيجة لاستمرار هجرة الفلسطينيين بحثاً عن الأمان المفقود هناك؛ فقد سجلت عام ألفين وسبعة 2007 استشهاد خمسة وأربعين فلسطينياً في العراق مقابل استشهاد مائة وواحد وتهجير ألف ومائتين في عام ألفين وستة 2006 والجدول التالي يوضح عدد الذين استشهدوا من فلسطيني العراق منذ الاحتلال ولغاية عام ألفين وسبعة 2007 على يد الجماعات الطائفية (23).

السنة	عدد الشهداء
2003	11
2004	20
2005	25
2006	101
2007	45

"جدول يبين عدد الذين استشهدوا من فلسطيني العراق منذ الاحتلال ولغاية 2007م"

23 23 التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت - لبنان، ص 334.

رابعاً: الخطط الصهيونية المقترحة لتوطين الفلسطينيين في العراق:

❖ خطة جوشواه بوخميل 1911:

اقترح الداعية الروسي الصهيوني "جوشواه بوخميل" في عام 1911 مشروع ترحيل عرب فلسطين إلى شمال سورية والعراق، وكان ذلك أمام لجنة فلسطين التابعة للمؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في (بازل)، وقد تحول هذا الأمر إلى مطلب لقادة الحركة الصهيونية من الدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا أثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس عام ألف وتسعمائة وتسعة عشر 1919⁽²⁴⁾.

❖ خطة وايزمن 1930:

رأى وايزمن أن الحل الجذري لمسألة الأرض والمشكلة الديموغرافية العربية معاً يكمن في ترحيل العرب إلى شرق الأردن والعراق، لما تتمتع به هذه البلاد من مساحات شاسعة تفسح مجال العمل للعرب فيها.

❖ خطة إدورد نورمان (1934 – 1948):

تعد خطة نورمان الأكبر من حيث الإعداد لها والعمل من أجل تنفيذها؛ فهي تعتمد على افتراضات خاطئة وضعها نورمان ظناً منه أنها تشكل الحل المناسب لجميع أطراف النزاع، فالعراق برأيه بلد عربي يتمتع بمساحات شاسعة وخصبة إلا أنه قليل عدد السكان؛ الأمر الذي يجعله بحاجة إلى استقدام العمالة الخارجية لدعم قوته الداخلية والسياسية والاقتصادية، وبالتالي فإن ترحيل الفلسطينيين إليه وتوطينهم فيه سوف يشكل حلاً لأحد أهم عوائق التنمية وفي الوقت نفسه سيسمح للهجرة اليهودية والاستيطان بالمضي قدماً، فالطبيعة البدوية للفلسطينيين تجعلهم غير متمسكين بالأرض لأنه ليس ثمة فارق بين فلسطين والعراق أو أي بلد عربي آخر.

²⁴ مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين بقلم حسين خلف موسى – موقع دنيا الرأي الإلكتروني .
 ❖ إدورد نورمان : (1900 – 1955) مليونير يهودي مؤسس الصندوق الأمريكي للمؤسسات الفلسطينية ورئيسه وعضو مجلس الأمناء بنيويورك ، وأحد الداعين إلى الترحيل الطوعي للفلسطينيين إلى العراق زعماً منه أن الطبيعة الجوهريّة لمشكلة فلسطين ليست سياسية وإنما اقتصادية . انظر كتاب طرد الفلسطينيين نور الدين مصالحة . مصدر سابق .

وجداولَ نورمان الإجراءات التنفيذية لخطته في عدة مراحل، فالمرحلة الأولى يجب أن تتضمن مناقشة بدء الترحيل مطولاً وبشكل سري وبمخطط اقتصادي؛ تناقشها الأوساط النافذة على الشعب اليهودي، ثم يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية والتي تتطلب تأسيس نقابة أو منظمة من الخبراء الذين لديهم المال الكافي لدعم هذا المشروع، ثم تتلوها عدة مراحل أخرى كوضع خطة تربية تظهر فيها ميزات العراق من حيث التربة والمناخ، والأصالة العربية تجعل الفلسطينيين يتقبلون فكرة الانتقال إلى العراق، بالإضافة إلى التزيين الإعلامي للمشروع وإرسال فريق متخصص — وبشكل سري وغير مباشر — إلى العراق وفلسطين لتقويم الظروف السائدة هناك، ومن ثمَّ البدء بتقديم المبادرات في اتجاه الحكومتين البريطانية والعراقية من أجل الحصول على تعاونهما.

ولم يُغفل نورمان في خطته ما سياتر على الحكومة العراقية في حال موافقتها على المشروع من وجوب منح الأراضي للمرحلين الفلسطينيين والمساعدة بنقل ملكيتها إليهم وتسهيل دخولهم دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول أو رسوم ومنحهم الجنسية العراقية خلال عام واحد من السكن في العراق (25).

❖ مذكرة بن غوريون (كانون الأول 1937):

تقدم دافيد بن غوريون في إطار المشروع الترحيلي الصهيوني للفلسطينيين بمذكرة بعث بها إلى المجتمعين في لجنة العمال الصهيونية المنعقد في بريطانيا جاء فيها: "ستعرض على العراق عشرة ملايين جنين فلسطيني في مقابل إعادة توطين مائة ألف أسرة عربية من فلسطين في العراق....".

وكان بن غوريون من دعاة التهجير القسري؛ لأنه يرى أن من المستحيل تخيل ذلك دون القسر فلا يمكن تصور قبول الفلاحين الفلسطينيين للرحيل الطوعي مهما تكن الإجراءات المالية، لذلك لا بد من اللجوء إلى التهجير القسري مستشهداً بما حصل للأتراك واليونانيين إبان الحرب العالمية الأولى (26).

²⁵ طرد الفلسطينيين، نور الدين مصالحة، مصدر سابق، الفصل السادس.

²⁶ المصدر نفسه، ص 105.

﴿الباهوين - حورين : إعلامي صهيوني في حركة التصحيحيين، رئيس صحيفة البيشوف العبرية، مستشار في مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي، من أبرز الداعين إلى توطين الفلسطينيين في العراق . (انظر كتاب طرد الفلسطينيين) .

❖ خطة بن — حورين □ (1943 — 1948):

انطلق بن — حورين في خطته من أفكار نورمان الداعية إلى ترحيل الفلسطينيين إلى العراق فكتب في ذلك: "أقترح ترحيل عرب فلسطين وشرق الأردن إلى العراق أو إلى دولة عراقية سورية موحدة...".

وشدّد على ضرورة تزامن ترحيل الفلسطينيين إلى العراق مع ترحيل يهود العراق وسورية واليمن إلى فلسطين، ونبه إلى أن هذا المشروع لا يمكن له أن يتم إلا بالحصول على دعم من الدول العظمى (27).

وفي السياق نفسه قام الصهاينة بتقديم خطة لترحيل الفلسطينيين إلى العراق إلى ممثل الرئيس الأمريكي "روزفلت" الشخصي الجنرال "باترك هرلي" حين زار فلسطين عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين 1943، حيث جاء في تقرير الجنرال أن قيادة (البيشوف) عازمة على إنشاء دولة يهودية تضم فلسطين بأسرها وشرق الأردن، وعلى فرض ترحيل السكان العرب إلى العراق بالقوة.

وتشير المعطيات أن باراك سعى بالتعاون مع إدارة كلينتون إلى إحياء مشروع بن غوريون وإدخاله في خطة إعادة تأهيل العراق وفك الحصار عنه مقابل استقبال مليوني لاجئ فلسطيني يعد حلاً إنسانياً، وكان نتيا هو قد طرح فكرة إحياء مشروع بن غوريون الذي يجعل من العراق الوطن البديل للاجئين.

²⁷ طرد الفلسطينيين — نور الدين مصالحة مصدر سابق .

خامساً: الموقف البريطاني والأمريكي من ترحيل الفلسطينيين إلى العراق:

❖ الموقف البريطاني:

تدرج الموقف البريطاني الرسمي اتجاه ترحيل الفلسطينيين إلى العراق بين مؤيدٍ مرة وساخِرٍ مرة أخرى، فعندما علمت وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات بخطة إدورد نورمان ترك ذلك لديها رد فعل سلبي ووصفتها بأنها من صنع هواة وغير عملية⁽²⁸⁾ وليس لها حظ من النجاح.

أما حزب العمال البريطاني وفي مؤتمره المنعقد عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين 1944 — وتحت ضغط الصهيونية ومناصريها من أعضائه — فقد اتخذ قراراً يصب في مصلحة ترحيل العرب خارج فلسطين، لكن من دون اقتراح وجهة الترحيل.

وفي كشف للوثائق البريطانية تم عام 1985 ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين تبين تأييد بريطانيا لترحيل الفلسطينيين للعراق؛ فقد دأبت بريطانيا منذ عام 1955 على بحث إمكانيات توطين اللاجئين الفلسطينيين في العراق، وتعاونت في هذا المجال مع سفارتها في بغداد وقسم التطوير في المكتب البريطاني في الشرق الأوسط في بيروت ووكالة الغوث وبقية السفارات البريطانية في المنطقة، وخرجت عدة توصيات بشأن استيعاب العراق لمزيد من اللاجئين وتوطينهم، فقد كان متوقفاً في مدى عشرين عاماً أن يوافق العراق على استيعاب نحو مليون لاجئ فلسطيني على حسب ما ورد في الوثيقة⁽²⁹⁾.

❖ الموقف الأمريكي:

في جهود السعي التي بذلها الصهاينة للحصول على الدعم الغربي لمشروع ترحيل الفلسطينيين إلى خارج فلسطين، وفي ظل تعاطف الرئيس الأمريكي روزفلت ومساندته للصهيونية، فقد طرح الصهاينة عليه مشروعهم من خلال ممثله الشخصي الجنرال باترك هرتلي حين زار فلسطين عام ألف وتسعمائة وثلاثة

²⁸ طرد الفلسطينيين، مرجع سابق، ص 125.

²⁹ دراسة حول توطين الفلسطينيين في العراق، زياد الشولي، موقع الإلكتروني دنيا الرأي، مصدر سابق.

وأربعين 1943، فقد نص إدوارد نورمان في خطته على ضرورة توريث الجانب الأمريكي في دعم مشروع الترحيل إلى العراق، ملوحاً بأهمية العراق وثرواته في دعم الحرب الأمريكية⁽³⁰⁾.

وفي تشرين الأول عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين 1945 وجّه نورمان رسالة إلى الرئيس الأمريكي هاري ترومان يطلب فيها مساندته لمشروع ترحيل الفلسطينيين مبيناً أن إعادة توطينهم في العراق لا يتضمن أية صعوبات وأن الصعوبات التي يمكن أن تظهر تكمن في الوجود الفلسطيني في فلسطين.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أطلقت الحركة الصهيونية علناً حملة تبنت خطة بن — حورين الداعية إلى ترحيل الفلسطينيين إلى العراق وسورية سميت حملة الترحيل الصهيونية الأمريكية والتي نالت كل الدعم من الرئيس الأمريكي هاري هوفر ورجال المال والقرار المتصهين المتنفذين في الولايات المتحدة الأمريكية⁽³¹⁾.

وتتالت المشاريع الأمريكية بعد النكبة الداعية في معظمها إلى التوطين خارج فلسطين ورفض مبدأ العودة إلى الأراضي التي خرج منها الفلسطينيون عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين 1948 أو العودة في أحسن الظروف إلى أراضي الدولة الفلسطينية القادمة.

فجاء مشروع جونستون أو مشروع الإنماء الموحد لموارد مياه نهر الأردن في الفترة ما بين عامي ألف وتسعمائة وثلاثة وخمسين وألف وتسعمائة وخمسة وخمسين 1953 و1955 ليدعو الفلسطينيين إلى إخلاص العيش مع جيرانهم والقبول بالدولة الإسرائيلية في حين يجري توطين الآخرين في البلاد العربية، ثم تلاه مشروع دالاس عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين 1956 لينزع عن القضية الفلسطينية الصبغة السياسية ويعدّها قضية لاجئين تحل عن طريق التوطين، وفي عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين 1969 قدم هنري كيسنجر مشروعاً يقضي بعودة لاجئي عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين 1967 وتوطين لاجئي ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين 1948 في البلدان العربية التي لجؤوا إليها ، وفي عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين 1997 شكل مجلس الشؤون الخارجية الأمريكي مجموعة بحثية برئاسة دزن أرزت لدراسة الجوانب المعقدة من القضية الفلسطينية، فجاءت توصياتها بتوزيع اللاجئين الفلسطينيين على مختلف أنحاء العالم⁽³²⁾.

أما الرئيس بيل كلينتون فقد بنى رؤيته لعملية السلام وحق العودة وإنهاء قضية اللاجئين في مفاوضات كامب ديفيد في على وثيقة (أبومازن — بيلين) التي عدّت حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم حلاً غير عملي، ولذا

³⁰ طرد الفلسطينيين، مرجع سابق، ص124.

³¹ المصدر نفسه.

³² انظر في موقع الجزيرة نت - المعرفة، اللاجئين الفلسطينيون بين التوطين وحق العودة، موقع إلكتروني

<http://www.aljazeera.net/KnowledgeGate..>

يجب العمل على عودة الفلسطينيين إلى أراضي الدولة الفلسطينية وتسهيل هجرة الفلسطينيين في البلدان العربية المجاورة وتوطينهم بالإضافة إلى إمكانية لم³³ شمل بعض الأسر من مواليد عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين 1948 فما دون.

وفي عام 2003 أطلّ علينا الرئيس جورج بوش بخارطة الطريق التي تبنتها المجموعة الرباعية (أمريكا وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة) والتي نادت بالاتفاق على حل واقعي شامل وعادل لقضية اللاجئين.

وفي سياق الحل الأمريكي المطروح حالياً من الرئيس باراك أوباما فقد رأى في أن وثيقة جنيف⁽³³⁾ تمثل الحل الأمثل للتفاوض بشأن عدد من القضايا المصرية من بينها حق العودة. وحسب ما نقلت الصحافة الإسرائيلية ، عن رئيس طاقم البيت الأبيض رام عمانويل فإن مبادرة جنيف هي أساس التسوية الدائمة.⁽³⁴⁾

من الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تلعب يوماً دوراً حيادياً حيال القضية الفلسطينية، وإنما كانت منحازة دوماً إلى الجانب الإسرائيلي بشكل واضح وجلي.

³³ توضيح: نصت وثيقة جنيف الموقعة بين أطراف فلسطينية ياسر عبد ربه وأطراف صهيونية يوسي بيلين على إعطاء الحرية للاجئين الفلسطينيين بشأن اختبار إقامتهم في أحد البدائل التالية: الدولة الفلسطينية أو المناطق التي ستضم للدولة الفلسطينية في سياق تبادل الأراضي أو دولة ثالثة أو الدول المضيفة حالياً أو إسرائيل...
³⁴ موقع تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، مقالة منشورة بقلم حلمي الأسمر، وانظر أيضاً <http://jazeera.net>

سادساً: الموقف العراقي والفلسطيني من توطين الفلسطينيين في العراق:

❖ الموقف العراقي

نستطيع أن نقسم الموقف العراقي تجاه هذه القضية إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل الاحتلال الأمريكي للعراق ومرحلة ما بعد الاحتلال.

مرحلة ما قبل الاحتلال:

رفضت الحكومات المتعاقبة على حكم العراق رسمياً فكرة توطين اللاجئين الفلسطينيين فيه انطلاقاً من موقفها القومي الرفض أصلاً للاحتلال الصهيوني لفلسطين.

فقد أكد مندوب العراق في الجامعة العربية سلطان الشاوي أن بلاده لن تقبل أية صفقات مشبوهة لرفع الحصار، وأن العراق لن يكافئ الكيان الصهيوني بالموافقة على توطين الفلسطينيين مهما امتد أمد الحصار، وأن سيناريو التوطين هذا محكوم عليه بالفشل.⁽³⁵⁾

إلا أنه مع استمرار الحصار وازدياد الضغوط على حكومة صدام حسين بدأت مشاريع توطين اللاجئين في العراق تظهر من جديد فقد أكدت د. لارا دراك المحاضرة في جامعة واشنطن أن... ضغوطاً تمارس على العراق منذ عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين 1993 كان آخرها وساطة مغربية فرنسية تدخلت من أجل قبول توطين اللاجئين إلا أن العراق رفض المشروع آنذاك.

وكذلك قام وفد من الكونغرس الأمريكي بزيارة العراق مطلع أيلول (سبتمبر) عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين 1999 دعا فيها الرئيس صدام حسين القبول بفكرة التوطين في جنوب العراق مثنين له قرار منح الجنسية للاجئين الفلسطينيين للعراق منذ 1948⁽³⁶⁾.

³⁵ قراءة في تاريخ القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور إلى اليوم، وديع الخازن، النهار، 14 تشرين ثاني - نوفمبر 2001، موقع

إلكتروني <http://arabtimes.biz>

³⁶ مركز الإعلام الفلسطيني - وثائق - pmc، موقع إلكتروني www.palestine-pmc.com

❖ مرحلة الاحتلال الأمريكي للعراق:

تسعى الحكومة العراقية إلى توطين عشرين إلى ثلاثين ألف فلسطيني في شمال العراق في منطقة أربيل (37). فالرئيس جلال طالباني لم يستبعد هذه الفكرة موضحاً أنها طرحت منذ سنوات، عندما اقترحت الإدارة الأمريكية أول مرة تطبيقها في كردستان العراق (38). ونقلًا عن صحيفة المدار إن وفداً دولياً زار كردستان للاطلاع على مشاريع جذب إسكانية للبدء عملياً بتوطين اللاجئين في العراق، حيث وافقت حكومة إقليم كردستان العراق على ذلك مقابل إغراءات مالية وأمنية ووعود بإقامة دولة كردية هناك (39).

❖ الموقف الفلسطيني الرسمي والشعبي:

لا يستطيع أحد من القادة الفلسطينيين سواء المتأخرين منهم أم المتقدمين المساومة على حق الشعب الفلسطيني في العودة لأنه حق مقدس لدى كل الفلسطينيين، وقانوني حسب كل الشرائع الدولية (40)، وبالتالي فلا يحق لأحد القبول بمشروع توطين الفلسطينيين وشطب هذا الحق. إلا أنه في الآونة الأخيرة وتحديداً فترة اتفاق أوسلو وما تلاها بدأت مرحلة جديدة ظهر فيها التلاعب جلياً بموضوع مشكلة اللاجئين وحق العودة، كان أول سمات هذه المرحلة تأجيل الحديث بمشكلة اللاجئين إلى مفاوضات الحل النهائي، ثم تلا ذلك صدور وثائق فلسطينية كوثيقة (أبومازن — بيلين) ووثيقة جينيف اللتين أبدت فيهما السلطة الفلسطينية استعدادها للتخلي عن حق العودة والتفاوض من أجل الوصول إلى "حل عادل متفق عليه" يحمل في طياته التوطين في دول اللجوء أو العودة إلى الدولة الفلسطينية المزمع إقامتها، واتضح ذلك أكثر عندما تبنت السلطة خارطة الطريق والمبادرة العربية للسلام.

37 شبكة البصرة الإلكترونية - المحامي احمد محمد الوطني مقالة بعنوان العراق الجديد - توطين الفلسطينيين www.albasrah.net

38 المرجع نفسه .

39 صحيفة المدار - مقالة - الموقع الإلكتروني www.almadarnews.org

40 حق العودة مقدس وقانوني وممكن - د . سلمان ابوستة المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت- الطبعة الأولى 2001 ص 16 وما بعدها .

فالحراك السياسي للسلطة الفلسطينية ما كان ليخرج عن النطاق الذي رسمته له من حكومة الاحتلال والإملاءات الأمريكية عليها، فزيارة رئيس السلطة محمود عباس إلى شمال العراق في شهر نيسان من هذا العام ولقاءه مع المسؤولين العراقيين هناك خير شاهد على تصميم السلطة على المضي بتنفيذ الأجندة الأمريكية والصهيونية بخصوص توطين الفلسطينيين في العراق.

ومن المؤكد أن هناك تباين واضح بين موقف السلطة وموقف الشعب الفلسطيني، فالفلسطينيون كانوا وما يزالون يرفضون كل أشكال التوطين متمسكين بحقهم في العودة إلى ديارهم التي خرجوا منها، وصدرت بذلك فتوى رسمية تعتبر القبول بالتوطين تنازلاً عن أرض الإسراء والمعراج ومحرمًا شرعاً.

النتائج والتوصيات:

يستطيع القارئ لهذه الدراسة أن يستخلص دروساً وعبراً نجملها في ما يلي:

- الصهيونية كانت وما تزال مشروعاً استعمارياً دولياً يخدم مصالح الدول الاستعمارية في المنطقة.
- التوطن مصطلحاً سياسياً ترفضه كل الشرائع والقوانين الدولية فإن فيه اعتداءً سافراً على أهم المبادئ التي كفلتها الشرعية الدولية في الحق بالعودة و تقرير المصير.
- الترحيل فكر وعقيدة صهيونيان تمتد جذورهما إلى عمق التاريخ لأنهما مبنيان على فكر عنصري ديني توراثي مزيف.
- الولايات المتحدة الأمريكية ومن قبلها بريطانيا وأوروبا لم تكن يوماً في موقف الحيادي أو النزيه من القضية الفلسطينية، وإنما كانت منحازة وداعمة لمشاريع ترحيل الفلسطينيين والتوطن وشطب حق العودة.
- رفضت جامعة الدول العربية توطن الفلسطينيين في الدول العربية بشكل قاطع حتى مرحلة تبني الجامعة للمبادرة العربية للسلام.
- الموقف الرسمي العراقي قبل الاحتلال الأمريكي هو رفض العراق للتوطن.
- ساهم الاحتلال الأمريكي للعراق في إيجاد حكومة تقبل بالتوطن وتبني مشاريعه.
- لم يجرؤ أحد من القادة الفلسطينيين قبل مرحل أوسلو أن يشطب حق العودة.
- شكلت مرحلة أوسلو منحىً خطيراً على القضية الفلسطينية ولا سيما مشكلة اللاجئين والحق بالعودة إلى الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين 1948.
- الشعب الفلسطيني متمسك بحقه في العودة ولا يسمح لأحد التصرف فيه لأنه حق فردي غير قابل للتصرف.
- وأخيراً فلئن طال ليل الغربة واشتد ظلم القريب والغريب، فإن لكل ليل نهاية وهاهو فجر العودة بدأ يشق الضوء ليكشف لنا عن صبحٍ جديد تتألق فيه بنادق المقاومة القادمة بالنصر والتحرير.

المراجع

1. إسرائيل في خمسين عاما - المشروع الصهيوني من المجرّد إلى الملموس، د. إلياس شوفاني، دار جفرا للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2002، الجزء الثالث.
2. التعريفات، علي بن محمد علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى تاريخ 1405 هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري، مادة وطن.
3. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2007، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان.
4. حق العودة مقدس وقانوني وممكن، د. سلمان أبو ستة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 2001.
5. دائرة المعلومات في مركز جمع المعلومات المحافظة الجنوبية غزة.
6. دراسة بعنوان "الفلسطينيون في العراق.. الواقع والمآل"، صادرة عن تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، طارق حمود، دمشق.
7. دراسة بعنوان "اللاجئون الفلسطينيون في العراق"، صادرة عن مركز شمل عام 2005 لبيب قدسية، انظر كتاب اللاجئين الفلسطينيين في العراق عز الدين محمد، ص 20-21.
8. دراسة حول توطين الفلسطينيين في العراق، زياد الشولي، موقع إلكتروني، دنيا الرأي.
9. دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1880-1914، نائلة الوعري، دار الشروق للنشر والطباعة، رام الله، الطبعة الأولى 2007 م.
10. سلسلة دراسات فلسطينية، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، د. محسن صالح، مركز الإعلام العربي، مصر، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
11. شبكة البصرة الإلكترونية، المحامي أحمد محمد الوطني، مقالة بعنوان العراق الجديد - توطين الفلسطينيين. www.albasrah.net
12. صحيفة المدار، مقالة، الموقع الإلكتروني www.almadarnews.org
13. طرد الفلسطينيين، مفهوم الترانسفير في الفكر الصهيوني (1882-1948) نور الدين مصالحة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992.
14. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون تاريخ مادة وطن.
15. قراءة في تاريخ القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور إلى اليوم، وديع الخازن، النهار، 14 تشرين ثاني - نوفمبر 2001، موقع إلكتروني <http://arabtimes.biz>.

16. اللاجئين الفلسطينيين في العراق، عز الدين محمد، مركز الغد العربي للدراسات، دمشق، الطبعة الأولى 2007.
17. مجلة كلية الملك خالد العسكرية، (كيف ينظر القانون الدولي إلى قضية توطين اللاجئين) www.kkmaq.gov.sa
18. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995، تحقيق محمود خاطر، مادة وطن.
19. مركز الإعلام الفلسطيني — وثائق — pmc، موقع إلكتروني - www.palestine-pmc.com
20. مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين، حسين خلف موسى، موقع دنيا الراي الإلكتروني.
21. مكتبة حقوق الإنسان، جامعة مينسوتا، موقع إلكتروني، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان <http://www1.umn.edu/humanrts/arabic.html>
22. موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، النصوص الرسمية للاتفاقيات والدول المصادقة عليه، إصدار بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة، شريف عتلم ومحمد ماهر عبد الواحد، اتفاقية جنيف الرابعة.
23. موقع الجزيرة نت - المعرفة - اللاجئين الفلسطينيين بين التوطين وحق العودة، موقع إلكتروني <http://www.aljazeera.net/KnowledgeGate>.
24. نظرة في واقع الإحلال الصهيوني، أ. محمد جميل، دار ابن القيم، ط 1 2005م.

— انتهى —